ثم لا أصوم بعده يوما أبدا وأن أحج حجة الإسلام ثم لا أحج بعدها أبدا ثم أحمل عمد فضل قوتي فأجعله فيما
حرم الله علي فأمسك عنه وحاصل كلامهم يدل على أن اجتناب المحرمات وإن قلت فهو أفضل من الإكثار من نوا
فل الطاعات فإن ذلك فرض وهذا نفل وقالت طائفة من المتأخرين إنما قال صلى الله عليه وسلم إذا نهيتكم
عن شيء فاجتنبوه وإذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم لأن امتثال الأمر لا يحصل إلا
بعمل والعمل يتوقف وجوده على شروط وأسباب وبعضها قد لا يستطاع فلذلك قيده بالاستطا
عة كما قيد الله الأمر بالتقوى بالاستطاعة قال الله عز وجل فاتقوا الله ما استطعتم وقال في الحج ولله
على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا وأما النهي فالمطلوب عدمه وذلك هو الأصل فا
لمقصود استمرار العدم الأصلي وذلك ممكن وليس فيه ما لا يستطاع وهذا أيضا فيه نظر فإن
الداعي إلى فعل المعاصي قد يكون قويا لا صبر معه للعبد على الامتناع من فعل المعصية مع
القدرة عليها فيحتاج الكف عنها حينئذ إلى مجاهدة شديدة ربما كانت أشق على النفوس
من مجرد مجاهدة النفس على فعل الطاعات ولهذا يوجد كثيرا من يجتهد في الطاعات ولا يقوى على
ترك المحرمات وقد سئل عمر عن قوم يشتهون المعصية ولا يعملون بها فقال أولئك الذين امتحن الله
قلوبهم للتقوى لهم مغفرة وأجر عظيم وقال يزيد بن ميسرة يقول الله في بعض الكتب أيها
الشاب التارك شهوته المتبذل شبابه من أجلي أنت عندي كبعض ملائكتي وقال ما أشدها
في الجسد إنها مثل حريق النار وكيف ينجو منها الحصورون والتحقيق في هذا أن الله لا يكلف العباد
من الأعمال ما لا طاقة لهم به وقد أسقط عنهم كثيرا من الأعمال بمجرد المشقة رخصة عليهم ورحمة
لهم وأما المناهي فلم يعذر أحدا في ارتكابها بقوة الداعي والشهوات بل كلفهم تركها على كل حال وإن
ما أباح أن يتناول من المطاعم المحرمة عند الضرورة ما تبقى معه الحياة لا لأجل التلذذ والشهوة
ومن يعلم صحة ما قاله الإمام أحمد رحمه الله أن النهي أشد من الأمر وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم
من حديث ثوبان وغيره أنه قال استقيموا ولن تحصوا يعني لن تقدروا على الاستقامة كلها
وروى الحكم بن حزن الكلفي قال وفدت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فشهدت معه الجمعة فقام رسول الله
صلى الله عليه وسلم متوكئا على عصا أو قوس فحمد الله وأثنى عليه بكلمات خفيفات طيبات مباركات ثم قال
أيها الناس إنكم لن تطيقوا ولن تفعلوا كل ما أمرتكم ولكن سددوا وأبشروا أخرجه الإمام أحمد وأبو
داود وفي قوله صلى الله عليه وسلم إذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم دليل على أن من عجز عن فعل
المأمور به كله وقدر على بعضه فإنه يأتي بما أمكنه منه وهذا مطرد في مسائل منها الطهارة فإذا قدر على
بعضها وعجز عن الباقي إما لعدم الماء أو لمرض في بعض أعضائه دون بعض فإنه يأتي من ذلك بما قدر
عليه ويتيمم للباقي وسواء في ذلك الوضوء والغسل على المشهور ومنها الصلاة فمن عجز عن الفريضة
قائما صلى قاعدا فإن عجز صلى مضطجعا وفي صحيح البخاري عن عمران بن حصين أن النبي صلى الله عليه وسلم

قال صل

قال صل قائما فإن لم تستطع فقاعدا فإن لم تستطع فعلى جنب ولو عجز عن ذلك كله أومأ بطرفه
وصلى بنيته ولم تسقط عنه الصلاة على المشهور ومنها زكاة الفطر فإذا قدر على إخراج بعض صاع
لزمه ذلك على الصحيح فأما من قدر على صيام بعض النهار دون تكملته فلا يلزمه ذلك بغير خلاف
لأن صيام بعض اليوم ليس بقربة في نفسه وكذا لو قدر على عتق بعض رقبة في الكفارة لم يلزمه
لأن تبعيض العتق غير محبوب للشارع بل يأمر بتكميله بكل طريق وأما من فاته
الوقوف بعرفة في الحج فهل يأتي بما بقي منه من المبيت بمزدلفة ورمي الجمار أم لا بل يقتصر
على الطواف والسعي ويتحلل بعمرة على روايتين عن أحمد أشهرهما أنه يقتصر على الطواف
والسعي لأن المبيت والرمي من لواحق الوقوف بعرفة وتوابعه وإنما أمر الله بذكره عند
المشعر الحرام وبذكره في الأيام المعدودات لمن أفاض من عرفات فلا يؤمر به من لا يقف بعرفة
كما لا يؤمر به المعتمر

الحديث العاشر عن أبي هريرة رض قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

إن الله طيب لا يقبل إلا طيبا وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال يا أيها الرسل كلوا
من الطيبات واعملوا صالحا وقال تعالى يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم ثم ذكر الرجل يطيل
السفر أشعث أغبر يمد يديه إلى السماء يا رب يا رب ومطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام
وغذي بالحرام فأنى يستجاب لذلك رواه مسلم هذا الحديث من رواية فضيل بن مرزوق عن
عدي بن ثابت عن أبي حازم عن أبي هريرة وخرجه الترمذي وقال حسن غريب وفضيل
بن مرزوق ثقة وسط خرج له مسلم دون البخاري وقوله صلى الله عليه وسلم إن الله طيب لا يقبل
إلا طيبا هذا قد جاء أيضا من حديث سعد بن أبي وقاص عن النبي صلى الله عليه وسلم قال إن الله
طيب يحب الطيب نظيف يحب النظافة جواد يحب الجود خرجه الترمذي وفي إسناده مقال
والطيب هنا معناه الطاهر والمعنى أنه تعالى مقدس منزه عن النقائص والعيوب
كلها وهذا كما في قوله تعالى والطيبات للطيبين والطيبون للطيبات الآية والمراد المنزهون
من أدناس الفواحش وأوضارها وقوله لا يقبل إلا طيبا قد ورد معناه في حديث
الصدقة ولفظه لا يتصدق أحد بصدقة من كسب طيب ولا يقبل الله إلا الطيب والمراد
أنه تعالى لا يقبل من الصدقات إلا ما كان طيبا حلالا وقد قيل إن المراد من هذا الحديث
الذي نتكلم فيه الآن بقوله لا يقبل الله إلا طيبا أعم من ذلك وهو أنه لا يقبل من الأعمال
إلا ما كان طيبا طاهرا من المفسدات كلها كالرياء والعجب ولا من الأموال إلا ما كان
طيبا حلالا فإن الطيب يوصف به الأعمال والأقوال والاعتقادات فكل هذه
تنقسم إلى طيب وخبيث وقد قيل إنه يدخل في قوله تعالى قل لا يستوي الخبيث
والطيب ولو أعجبك كثرة الخبيث هذا كله وقد قسم الله تعالى الكلام إلى طيب
وخبيث فقال ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة ومثل كلمة خبيثة
كشجرة خبيثة وقال تعالى إليه يصعد الكلم الطيب ووصف الرسول صلى الله عليه وسلم
بأنه يحل الطيبات ويحرم الخبائث وقد قيل إنه يدخل في ذلك الأعمال والأقوال
والاعتقادات أيضا ووصف الله تعالى المؤمنين بالطيب في قوله الذين تتوفاهم

Copyright © King Saud University